

شہاب محمد صلی اللہ علیہ وسلم

۱۱

سَبِيلُ الْإِسْعَى

حسین محمد یوسف

رابع

دارالاعتصام

29
Y

شباب محمد ﷺ
رسائل الدعوة

سبيل الدعوة

عبد الله محمد يوسف

دار الأمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين » .

(النحل : ١٢٥)

تصدير

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن وآله .

وبعد ، فإن الدعوة إلى الله ، رسالة يؤتيها طائفة من الأمة تصلح لأدائها ، وتتوافر فيهم شروطها . قال عز وجل (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

فالدعوة إلى الله يجب أن تكون على بينة وبصيرة (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وبسبحان الله وما أنا من المشركين) .

والدعوة إلى الله ليست مجبوعة من التوبعات العصبية والشقاق والسباب تكال للخصوم ، وليست حركات قهورية . فكل هذه الأوهام تسيء إلى الدعوة ولا تنفعها ، ويتسبب في نكسها . ولكن الدعوة سبيلا حديدا كتاب الله في قوله تعالى (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) .

فعلى الدعاة ان يعرفوا سبيل الدعوة ويلتزموا احكامها وآدابها .. فقد اختلطت السبل امام كثيرين ممن عرضوا انفسهم لحمل امانة الدعوة ، وهم على غير بصيرة بها ، وليسوا اهلا لحملها ، وغير ملتزمين لآدابها .. فمنهم من رأى ان العنف هو احد سبل الدعوة .. ومنهم من رأى ان جمع الحشود الهائلة هو اقرب الوسائل .. ومنهم من رأى ان الوصول الى السلطة هو اقصر الطرق .. ومنهم من رأى ان الدعوة هي تكفير الناس جميعا ، مسلمين وغير مسلمين ، مستحلين دماءهم بغير حق .. ومنهم من رأى ان الدعوة هي التيل من الأئمة الاعلام ، وسب الأولياء الصالحين باقذع الألفاظ .. ومنهم من رأى ان الدعوة وعظ وارشاد في بيوت الله فحسب . ومنهم من رأى ان الدعوة نشر ثقافة وعلم فحسب .. ومنهم من رأى ان الدعوة هي شغل الناس بقضايا فرعية خلافية ، في نصوص ظنية الدلالة .

وما هكذا على الاطلاق ، سبيل الدعوة الى الله .

ونحن شباب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، نرى غير ما يراه هؤلاء وهؤلاء وهؤلاء .. فلنا دراساتها وفهمنا للدعوة ، اخذناها من مصانيرها الاصيله من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومنذ أكثر من خمسة عشر عاما ، أعد لنا الاستاذ حسين محمد يوسف — رحمه الله — كتابا بعنوان ((تحت لواء الرسول — الدعوة والداعية)) . وقد تضمن هذا الكتاب

مجموعة من الرسائل عن «الاسلام والشباب — الدعوة الكبرى — سيد الدعاة في نشأته — خلق الداعية — سبيل الدعوة» . وكانت هذه الرسائل قد أعدت للأعضاء العاملين في الجماعة في موضوع الدعوة ووسائلها وأخلاقياتها . وبعد أن تم طبع الكتاب ، وكان على وشك الصدور ، جاءت الأوامر من روسيا الى عملائها الذين كانوا يتولون الحكم في أوائل عام ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٢ م — فعطلوا الجماعة بدون قرار أو إجراء قانوني . . . وهدموا مسجدنا ، ونهبوا مطبعتنا وأموالنا — وصادروا من بين ما صادروا هـذا الكتاب ، قبل أن يصل الى أيدي الناس .

ولما كانت رسائل هذا الكتاب ، قد درسناها نحن الرعيل الأول من هذه الجماعة ، فقد حرصنا على إعادة طبعها ، ليستفيد منها الدعاة عامة ، والرعيل الثاني من هذه الجماعة بوجه خاص ، واخترنا أن نبدا برسالة «سبيل الدعوة» التي نقدمها في هذا الكتيب .

وسبيل الدعوة تقوم — كما أوضحت هذه الرسالة — على ثلاثة عناصر :

- قيادة مؤمنة صادقة .
 - صف أول من المؤمنين المخلصين المجاهدين .
 - أدب إسلامي في الدعوة والتبليغ والجهاد في سبيله .
- هذه هي العناصر الثلاثة لموضوع هذه الرسالة ، التي

على صغر حجمها ، تناولت مواضيع جليلة وخطيرة ،
وتضمنت دروسا وعبرا عظيمة . ونسال الله أن ينتفع بها
تسببنا من الدعاة المخلصين ، ليسلكوا السبل الصحيحة
التي سلكها سلفنا الصالح ، ويتجنبوا ما وقع فيه البعض
من أخطاء .. حتى نصل الى النصر الذي وعدنا الله به ..
طال الطريق أم قصر .. اقبل الناس علينا أم اعرضوا ..
فكل هذه الأمور لا نقيم لها وزنا ، لأننا لا نتعجل الثمار قبل
أوانها .. ولأنه لا يهمننا الا أمر واحد .. هو التزام الطريق
الحق ... ومع هذا فنحن على ثقة بالنصر ان شاء الله ،
ان صبرنا وثابرننا ، وثبتنا ولم ننحرف .. فقد وعد الله ،
عباده الصادقين بالنصر فقال سبحانه (انا لنصر رسلنا والذين
آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) .

محمد عطية خميس
رئيس شباب سيدنا محمد
صلى الله عليه وسلم

تقديم

ما كان الله عز وجل ، وقد اصطفى خاتم أنبيائه ورسوله منذ الأزل ، وتعهد روحه الشريفة بالصيانة والقامين ، في قلبها في الساجدين ، وتنقلها من الأصلاب الطيبة ، الى الأرحام الطاهرة ، من لندن آرم حتى حملت به أمه . .

ما كان الله عز وجل وقد أحاط نبيه وحببيه بالرعاية في طفولته ، وتولاه بالعصمة والوقاية في شبابه ، وأكرمه بالنبوة والرسالة في رجولته . .

ما كان لرب العالمين — وقد ألقى على سيد المرسلين قولا ثقيلا ، وحمله عبئا فاحشا جليلا — الا أن يواصـله بالارشاد ، ويرسم له سبيل الفلاح والرشاد ، ويوضح له التخطيط اللازم لتجـاح الدعوة ، والوسائل التي يجب الاعتماد عليها ، والأساليب التي يلزم انتهاجها ، في اقناع المستجيبين ، ومجابهة المكابرين ، ومجاهدة الطفافة المتكبرين .

وقد اقتضت حكمته جل وعلا ، في تخطيطه لأكرم دعوة ،

وتنظيمه لأشرف رسالة ، أن يسلك بها السبيل الطبيعي
لآية دعوة جديدة ، حتى يستطيع الناس في كل زمان ومكان ،
إذا ما ألهمت بهم الخطوب ، أو تكاثفت حولهم الظلمات ،
أن يسلكوا سبيل الهداية والنور الذي رسمه رب العالمين ،
لأشرف الأنبياء والمرسلين ، ليتخلصوا مما هم فيه من حيرة
وضلالة ، ويستردوا ما فقدوه من عز وإقبال ، ويحققوا
ما يبغيه من رفعة وكمال .

وسيجد الشباب في هذه الرسالة تحليلاً للسبيل الذي
سلكته الدعوة ، والأطوار التي مرت بها ، والعقبات التي
اعترضتها والآلام التي أحاطت بانصارها حتى استقرت
في النهاية قوية شامخة ، تبدد ظلمات الشك بنورها ، وتملا
القلوب إيماناً بصدقها ، ليتخذ الشباب من كل ذلك ، ما
يقنعهم بأن الإيمان ليس بالقصص ، وأن النصر مع الصبر ،
وأن الله تعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وليس أصدق من الإسلام دعوة ، ولا أشرف من القرآن
رسالة ، ومن أجل هذه الحقيقة ثبت أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم — في كفاحهم ، ثبوت الجبال الرواسي ، وسهروا
فوق الحياة ، فقتلوا في سبيل الله يعملون ، وتحت لواء سيد
المرسلين يجاهدون .

وما زال الإسلام هو الإسلام ، بقوته الدافقة ، وحيويته
التي لا تفنى ، يمد كل من اقترب منه بالهداية والنور ، ويكفل

للعاملين به كل نصر وظهور ، فليتجه الشباب بقلوبهم اليه ،
وليعضوا بالنواجذ على تعالىمه ، عسى أن يعيدوا مسيرة
الأولين ، ويجددوا مجد الغابرين «! ولينصروا الله من ينصره ،
ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم في الأرض ، أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ،
ولله عاقبة الأمور » .

حسين محمد يوسف

تحريرا في ٧ رمضان ١٣٨٠

* * *

« يا أيها المدثر • قم فأنذر • وربك
فكبر • وثيابك فطهر • والرجز
فاهجر • ولا تمنن تستكثر • ولربك
فاصبر » المدثر ١ — ٧ •

القيادة القدوة

- * طريق الداعية
- * الصف الأول لدعوة الحق
- * العلم وقيام الليل والطهر
- * وحدة القلوب ضمان لوحدة الصف
- * أربعة توجيهات
- * الجهر بدعوة الحق

طريق الداعية

عماد كل دعوة صادقة : فرد يؤمن بها ، ايماناً يملك عليه مشاعره ، ويسيطر على وجدانه ، ويظهر أثره في كل ناحية من حياته ، حتى يكون صورة مطابقة لما يؤمن به ، وقـدوة طيبة لما يدعو اليه ، فاذا ما اكتملت في أعماقه عوامل الايمان ، فاض بالدعوة على اهله وعشيرته ، ثم انتقل بها الى اخوانه وجيرانه ، ثم اتسع بدائرتها حتى تشمل عامة الناس ، وتبلغ المدى المقدر لها في علم الله .

وكذلك كان شأن الدعوة الاسلامية ، بدأت بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذي تعهده رب العالمين بالتأديب والتهذيب فبلغ الذروة في كمال الايمان ، وقوة اليقين ، حتى أنه صلى الله عليه وسلم ليقول : ((ابني ربي فأحسن تأديبي)) (١) .

وهكذا اختص رب العالمين — في بدء الدعوة — نبيه الكريم بالخطاب ليبدأ بنفسه ، فيضاعف الجهد في الاقبال على ربه ، والتزود من طاعته ، استعداداً للنهوض بما أعد له ، من بلاغ خطير ، وجهاد مرير ، فأوحى اليه عز وجل ... بقوله :

(١) عن ابن مسعود باسناد صحيح .

« اقرا باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق •
اقرا وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم
يعلم » العلق ١ - ٥ .

ثم اتبعه جل وعلا بقوله :

« يا ايها المزمل • قم الليل الا قليلا • نصفه او انقص
منه قليلا • ار زد عليه ورتل القرآن ترتيلا • انا سنلقى
عليك قولا ثقيلا » المزمل ١ - ٥ .

الدعوة الى الصلوة :

وفي الآية الاولى دعوة الى القراءة والتعلم ، والخطاب
وان كان موجها للنبي صلى الله عليه وسلم ، فانه يشمل من
باب اولى كل من اراد ان ينهض بالدعوة الى الله ، فلا بد
ان يكون عالما بما يدعو اليه ، متفقا في اسرارها ، محيطا
بحكمته والا ظل جهله عقبة في سبيل نشر الدعوة ، وبدلا من
ان يفيض على من حوله من علمه وهدايته ، افساء عليهم
بجهله وضلالاته ، فكان بذلك من الضالين المضلين ، واهلك
نفسه ومن معه اجمعين .

الدعوة الى قيام الليل :

وفي الآية الثانية دعوة الى قيام الليل او بعضه ، وتلاوة
القرآن فيه ، فان ذلك مما يعين الداعية على القيام باعباء
الدعوة ، بما يستمدده من تأييد الله عز وجل ، وما يفوز به من

قوة الروح ، وصفاء النفس ، ونشاط البدن ، وعظيم الأجر من الله تعالى . قال صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله عز وجل الى سماء الدنيا كل ليلة ، حين يَمْضَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ فيقول : أنا الملك . . أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر (١) » .

الدعوة الى الطهر :

وقضى النبي صلى الله عليه وسلم حولا كاملا ، ملتزما أمر الله عز وجل في قيام الليل ، كله او بعضه ، حتى استكمل استعداده الروحي ، لتبليغ الدعوة . . فنزل قوله تعالى : « يا أيها المدثر . قم فانذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . واربك فاصبر » .

وتوضح هذه الآيات بعض ما يجب أن يتصف به الداعية الى الله ، من نهوض بأمر الدعوة ، وانذار الناس بها ، ومن تعظيم لأمر الله وثقة في قدرته ، واعتماد عليه ، ومن تهذيب للنفس وتطهير للقلب حتى تكون جميع أعماله خالصة لله ، والناس ، فلا يمن على الله بما يقوم به من دعوة الى دينه ، ولا على الناس بما يبلغهم من هداية ، او يفيض عليهم من حكمة ، لأن الفضل راجع في كل ذلك الى الله تعالى . . .

وأخيرا من صبر على طاعة الله ، واحتمال للأذى في سبيله ، فإن ذلك شأن أولى العزم الذين سبقوه في تحمل أعباء النبوة ، وتقدموه في الصبر على بلاء الرسالة . .

(١) صحيح مسلم عن أبي هريرة بأسناد صحيح .

الصف الأول لدعوة الحق

وهكذا : أمر الله تعالى نبيه بالتبليغ والانذار ، واقتضت حكمته أن تلهمه بالتزام السرية في دعوته ، وأن يبدأ بها اقرب الناس اليه ، وقد استجاب صلى الله عليه وسلم لأمر الله ، فأخذ يسر بأمره الى من يطمئن اليه من أهله فكانت خديجة رضى الله عنها أول من آمن به ، وتبعها على رضى الله عنه وهو ابن عشر سنين ، فزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبذلك انتهى النبى صلى الله عليه وسلم من تبليغ الدعوة لأهل بيته ، وأكرمه الله بهدايتهم الى سبيله .

واخذ النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يختار من بين الناس ، أصفاهم قلبا ، وأكرمهم أخلاقا ، ليدعوهم الى دين الله ، ويهديهم الى نور الحق ، فكان فى مقدمة من استجاب لنداء الايمان ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وقد كان أوثق الناس صلة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعرفهم بخلقه ، وأخبرهم بصدقته وأمانته ، مما كان له أعظم الأثر فى تلبية الدعوة ، دون تردد أو كبوة . قال صلى الله عليه وسلم :

ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كان عنده كبوة

وتردد ونظر ، الا ابا بكر ، ما عكم عنه حين ذكرته ، ولا تردد فيه (١) .

ولقد كان ايمان الصديق ايمانا ايجابيا ، فأخذ يدعو الى الاسلام كل من وثق به من قومه ، فأسلم على يديه عدد من اكابر رجال الدعوة ، مثل عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف وأبي عبيدة بن الجراح ، والأرقم بن أبي الأرقم ، وهو الذى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من داره مركزا للدعوة ، يجتمع فيها مع أصحابه ، فى مأمن من التحرش بهم ، أو التعرض لعبادتهم .

وهكذا تكون الصف الأول من رجال الدعوة ، الذين باعوا لله أنفسهم وأموالهم ، فقامت على اكتافهم دعوة الحق راسخة قوية ، وارتوت بتضحياتهم شجرة الاسلام ، التى يمتد أصلها فى الأرض ، ويصل فرعها الى السماء .

استوى هؤلاء السابقون الأبرار صفا واحدا خلف قائدهم العظيم ، على استعداد لتابعته فى أى سبيل ، ومصاحبته الى لية نهاية ، وبذلك تهيأت الدعوة للخروج من السرية ، التى اقتضتها حكمة الله فى تخطيطه لها ، لتبدأ باذن الله طورا جديدا ، تشق فيه الطريق علانية الى القلوب ، وتعلن فيه كلمة التوحيد فى كل مكان ..

(١) ابن اسحاق : عن حديث عبد الله بن الحصين التميمي . وما عكم : أى ما تلبث .

وحدة القلوب .. ضمان لوحدة الصفوف

وبالرغم من أن سرية الدعوة في هذه المرحلة ، حالت دون انتشارها . وحصرتها في هذه الدوائر الضيقة ممن آمنوا بها ، إلا أن هذا الطور من الدعوة قد جعل من هذه الحفنة الصغيرة وحدة متماسكة البنیان ، متحدة الشعور والوجدان ، فهم على قلب رجل واحد ، لا يختلفون حول أمر ، ولا يتفرقون عند رأى ، فقد ألقت العناية الإلهية بين قلوبهم ، ووحدت الأهداف السامية بين أرواحهم ، لأنهم ما أرادوا بإيمانهم جزاء ولا شكورا ، ولا قصدوا بدعوتهم رياء أو ظهورا ..

كانت هذه الوحدة الشاملة في الأهداف ، والوحدة المتماسكة في الصفوف ، والوحدة الجامعة للأرواح والقلوب .. كانت هذه الوحدة هي أكبر ضمان لقيام الدعوة على أمتن أساس ، وأعظم حماية لها ضد الخطوب والأحداث ، وأقوى دلالة على ما سوف تحققه لها الأيام ، من ظهور وانتشار .

ذلك أن وحدة الآراء بين رجال الصف الأول ، هي أقوى عوامل النجاح ، وأقرب سبيل إلى النصر والفلاح ، وهيئات أن تقوم لدعوة قائمة ، بما لم يتوفر لأقائهم بها ، وحدة الشعور والوجدان لأن افتقاد هذه الوحدة ، دليل على تنافر الأرواح ، واختلاف القلوب ، وإذا تنافرت الأرواح ، واختلعت القلوب ، فلا بد من تفرق الجمع ، وتمزق الشمل ، مهما كثر العدد ، أو طال الأمد ..

قال صلى الله عليه وسلم :

« الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما

تناكر منها اختلف » (١) .

ومن ناحية أخرى : فان الاختلاف لا يمكن أن يكون حول الحق ، لأن الحق يؤلف بين أهله ، ويوحد بين أنصاره ، قال تعالى : « لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ، ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » أي ألف بينهم بجمعهم على الحق ، وهدايتهم الى نوره .

وانما يقع الاختلاف بين أهل الباطل ، ويقع بين أهل الحق اذا ما اندس بينهم بعض المبطلين ، لأن الباطل لا يؤلف بين قلوب أهله ، فمهما تقاربت آراؤهم ، وتشابهت أهدافهم ، فانهم كما يقول الله تعالى : « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » الإنفال : ٦٣ .

ومن هنا : كانت دلالة الاختلاف بين رجال الصف الأول خطيرة المغزى ، لأنها تعنى أحد أمرين : أما ان الدعوة لا تقوم على الحق ، وأما أن بعض القائلين بها ينقصهم الاخلاص والصدق .

ولقد كان الصف الأول من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أروع صورة لما يجب أن يكون عليه رجال

(١) البخاري عن عائشة رضى الله عنها . أحمد ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة . الطبراني عن ابن مسعود رضى الله عنهما بإسناد صحيح .

الدعوة ، من وحدة الكلمة ، وايمان بالهدف ، وطاعة للقيادة ، ولذلك كانوا رغم قلتهم ، يملكون من القوة الكامنة ، ما مكنهم بعد قليل ، من الجهر بالدعوة ، في وجه مجتمع فاسد شديد التعصب لاضلالاته ، عميق التعلق بجاهليته ، وآثامه .

أربعة توجيهات

تكون الصف الأول للدعوة ، وتم اعداده لحمل مسئولية لقيادة والتوجيه فيها ، فكان لابد من الانتقال بالدعوة الى دائرة اوسع ، وكان لابد لا يصل الدعوة الى هذه الدائرة من الجهر بها ، في الحدود التي تتفق مع التخطيط الموضوع لها . . وقد بين الله تعالى لنبيه هذه الحدود حينما أوحى اليه بأمره ، وفي قوله جل وعلا : (وانذر عشيرتك الأقربين . واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون . وتوكل على العزيز الرحيم) الشعراء : ٢١٤ — ٢١٧ .

وقد جمعت هذه الآيات أربع توجيهات يلزم على الداعية ان يحرص عليها في تبليغه للدعوة ، وجهره بها .

● الأول : البدء بتبليغ الدعوة بحزم الى العشيرة الأقربين ، لانهم أولى الناس بها ، وأحقهم بخيرها ومعروفها ، ولأن ايمان البعض منهم سيزيده قوة ومنعة ، في حين أن اعراض الآخرين لن يضره كثيرا ، لانهم في نهاية الأمر من عصابة ، ولن يوغلوا في معاداته ، لما يربطهم به من صلات قبلية ، لها في الجاهلية كل تقدير واعتبار .

● **الثانى : خفض الجناح للمؤمنين : بإلانة الجانب لهم**
والتواضع فى معاملتهم ، والرحمة بهم ، تأليفا لقلوبهم ،
وتثبيتا لايمانهم ، وتقديرا لوفائهم واخلاصهم .

● **الثالثة : عدم المبالاة باعراض المشركين ، او معصية**
المفرطين ، والاكتفاء بالتبرء من أعمالهم ، والاعراض عنهم .

● **الرابع : الاستمرار فى الدعوة ، دون مبالاة بما يصابها**
من عقبات . مع التوكل على الله تعالى ، وتفويض الأمر اليه ،
فانه سبحانه وتعالى عزيز لا يقهر ، قادر لا يغلب ، رحيم
لا يضيع عمل المؤمنين ، ولا يفلح كيد المجرمين .



الجهر بدعوة الحق

ولم يتردد سيد المرسلين فى النهوض بما أمر الله به ،
فدعا قومه الى طعام ، وهم يومئذ يتقاربون الأربعين عددا ،
ثم قال لهم : **« يا بنى عبد المطلب : انى والله ما اعلم شابا من**
العرب جاء قومه بافضل مما جئتمكم ، انى جئتمكم بامر الدنيا
والآخرة (١) » .

ولكن القوم اعرضوا عنه ، وسخروا منه ، فلم يزد ذلك
من رسول الله الا اصرارا على تبليغ الدعوة ، وعزيمة فى
الجهر بها ، فخرج صلى الله عليه وسلم ، حتى اتى الصفا
فصعد اليها ، وصاح بالناس حتى اجتمعوا اليه ، فقال :

(١) البيهقى فى الدلائل من حديث على بن أبى طالب كرم

الله وجهه .

« يا معشر قريش : أرايتم لو أخبرتكم أن خيلاً يسفح هذا
الجبل ، تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي » ؟ قالوا : نعم .
ما جربنا عليك إلا الصدق . قال : « فإني نذير لكم بين يدي
عذاب شديد !! » (١) .

ثم قال :

« يا بني كعب بن لؤي : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا بني مرة بن كعب : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا بني عبد شمس : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا بني عبد مناف : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا بني هاشم : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا بني عبد المطلب : انقذوا أنفسكم من النار . . »
« يا فاطمة انقذى نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم
من الله شيئاً ، غير أن لي رحماً سابلها بيلالها » (١) .
فما كان من أبي لهب إلا أن اعترضه صائحاً
تبا لك !! الهذا جمعتنا ؟؟
وانفض الناس ساخرين !

(١) أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) صحيح مسلم من حديث أبي هريرة . قوله سابلها

بيلالها : أي أصلكم في الدنيا ، ولا أغنى عنكم من الله شيئاً .

ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبال بما صادفه من اعراض وسخرية ولم تصدمه هذه النتيجة المؤلمة ، لأنه انما يدعو الى الله ، ويقصد بدعوته وجهاده وجه الله وحده ، وسواء لديه بعد ذلك ، اقبل الناس اليه ، أم اعرضوا عنه . وكذلك شأن الداعية الصادق ، لا توهنه العقبات ولا ترده النكبات ، ولا تزيده الخيبة الا ايمانا واستبسالاً .

ولا شك أن ما لقيه سيد المرسلين ، وهو المؤيد بروح الله ، المكرم برسالته ، فيه تعزية لدعاة الحق في هذا الزمان ، فيما يلقونه من انصراف الناس عنهم ، ومعارضة الجهلاء لهم ، حتى يتذكروا أنهم ليسوا أعز على الله من سيد المرسلين وليسوا أقدر على البلاغ المبين ، من الصادق الأمين . . . فلا يهنوا . . . ولا يحزنوا . . . وكفاهم شرفاً من الله أن سخرهم للتوجيه والارشاد ، وأن وفقهم الى سبيل الهداية والارشاد **« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين »** . فصلت ٣٣ .

وهكذا . . . استمر صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، ولا يرده عن ذلك راد ، ولا يصدده عن ذلك صاد ، يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ، ويتربصهم في المواسم ومواقف الحج ، يدعو كل من لقيه من حر وعبد ، وكبير وصغير ، وغنى وفقير (١) .

(١) البداية ، والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٤٠ .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه • فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر • وما بدلوا تبديلا » •
الأحزاب : ٢٣

الصف الأول

- * بوتقة الدعوة
- * النصر مع الصبر • •
- * والفرج مع الكرب
- * تراجع المبطلين
- * طريق العزة
- * انطلاق الدعوة
- * بعد الحصار

بوتقة الدعوة

ولقد كان لجهر النبي صلى الله عليه وسلم بالدعوة ،
صداه الطبيعي في النفوس ، وتفاعله العميق في المجتمع .
لقد أحس القوم بخطر الدعوة الجديدة ، يهددهم في كل ناحية ،
يهددهم في دينهم وتعاليدهم ويهددهم في نفوذهم وسلطانهم ،
فكان لابد من مقاومة هذا الخطر ، والعمل على استئصاله
قبل استفحاله .

وهكذا دخلت الدعوة في طور جديد ، كان لابد أن تمر
به أية دعوة ، تريد أن تشق طريقها الى الضياء والنور ،
وتثبت جدارتها بالحياة والظهور ، تلك سنة الله في خلقه ،
وضيحاً في محكم كتابه حيث قال :

**((احسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن
الكاثرين .))** العنكبوت ٢ و ٣

وهكذا تعرضت تلك الحفنة المؤمنة ، لأكبر فتنة ، وأخطر
تجربة ، فسطا عليها المجتمع من كل جانب ، وتناوشتها
المواصف من كل ناحية ، وانصب عليها العدوان ، بما
تشيب له الولدان . .

هذا هو بلال بن رباح ، مولى أمية بن خلف ، وقد كان
إذا حميت الظهرية يخرججه ثم يأمر بالصخرة فتوضع على
صدره ، ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر
بمحمد وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو في ذلك العذاب
الآليم : احد احد !!

وهؤلاء هم آل ياسر : كان المشركون يعذبونهم برمضاء
مكة تارة ، ويكونونهم بالنار أخرى ، فيمر بهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فلا يملك الا أن يقول لهم « صبرا آل ياسر
فإن موعدكم الجنة (١) حتى قضى ياسر في العذاب ، وطعن
ابو جهل سمية — زوجة ياسر — بحرية في قلبها ، فقتلها ،
وهي تأبى الا الاسلام ..

وهذه هى زينة جارية عمر بن الخطاب ، وقد كانت
يتعدها يوميا بالعذاب ، فتأبى الا الثبات على الاسلام ، حتى
فقدت بصرها بتأثير التنكيل والايلام .

وتتبع المشركون كل من اسلم بالبلاء المبين ، حتى انهم
« كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر
أن يستوى جالسا ، من شدة الضر الذى به حتى يعطيهم
ما سألوه من الفتنة ، حتى يقولوا له اللات والعزى الهان من
دون الله ، فيقول نعم !! افتداء منهم بما يبلغون من جهدهم (٢) » .
واشتد الكرب بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
حتى أن حبابا رضى الله عنه ليقول : « شكونا الى رسول الله

(١) البيهقى : من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) ابن اسحاق : من حديث ابن عباس رضى الله عنه .

صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة ،
وقد لقينا من المشركين شدة ، قلنا : ألا تستنصر لنا ؟ ألا تدعو
لنا ؟ فنقعد وهو محمر الوجه فقال : ((قد كان من قبلكم يؤخذ
الرجل ، فيحفر له في الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار
فيوضع على راسه فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد
ما دون لحمه وعظامه ، ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن
الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ،
لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم
تستعجلون !! (١) » .

على أن كل ذلك لم يزد المؤمنين إلا إيماناً وتسليماً ،
وأصراراً وتصميماً ، حتى أن أبا بكر رضى الله عنه أبى إلا أن
يتحدى قريشاً في عقر دارها ، فقام بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخطب الناس في البيت الحرام ، ويدعوهم إلى الله
والرسول ، فثار المشركون عليه ، وضربوه ضرباً شديداً ، حتى
أن عتبة بن ربيعة جعل يضربه على وجهه بنعلين مخصوفتين ،
إلى أن فقد وعيه ، وأوشك على الهلاك ، لولا جاء تومه —
بنو تميم — فأجلوا المشركين عنه ، وحملوه إلى بيته — وهم
لا يشكون في موته — حتى لقد تعاهدوا على الثأر له من عتبة
ابن ربيعة . . لولا أن بدأ أبو بكر يتكلم من آخر النهار ، فكان
أول ما تتم به هو السؤال عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؟ فأجابته أمه : والله مالى علم بصاحبك ، فقال : اذهبى

(١) البخارى : من حديث أبى عبد الله خباب بن الارت
رضى الله عنه .

الى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه فذهبت اليها وعادت معها فوجدته على هذه الحال من الأذى ، فقالت : أن قومنا نالوا هذا منك لأهل فسق وكفر ، واني لأرجو أن ينتقم الله منهم . . . قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين هو ؟ قالت : في دار ابن الأرقم ، قال : فان الله على أن لا أنوق طعاما ، ولا شرابا أو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فخرجتا به يتوكأ عليهما ، حتى دخل دار الأرقم ، فأكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكب عليه المسلمون ، وقد تأثر الجميع لحاله ، واخذوا باخلاصه وصدقه ، ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة ، وهو بالمؤمنين رعوف رحيم — فقال له أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ليس بي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي ، وهذه أُمي برة بولدها ، وانت مبارك ، فادعها إلى الله ، وادع الله لها ، عسى الله أن يستغفرها بك من النار !

فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاها إلى الله فأسلمت . —

هذا هو بعض ما وقع بالصف الأول من المؤمنين ، وهذا هو بعض ما دفعوه من ثمن ، فداء لدينهم ، ونجاة بأرواحهم ، ولا عجب فقد « جفت الجنة بالمكاره ، وحقت النار بالشهوات » ومن طلب العناء لم يغله المهر . وكذلك من وطد العزم على الفوز بشرف الدعوة إلى الحق ، والجهاد في سبيل الله ، لأبد وأن يسترخص كل غال ، ويضحى بكل

عزيز ، ((أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)) آل عمران : ١٤٢ .
وما رجل الدعوة وقائدها بمنجاة مما أصاب أصحابه ،
فلقد تحمل نصيبه من البلاء ، وضرب القدوة العالية في الصبر
على الضراء ، حتى أنه صلى الله عليه وسلم ليقول :
((لقد أوفيت في الله وما يؤذى أحد ، وأخفت في الله
وما يخاف أحد ، وأقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة
ومالي ولبلال ما يكله ذو كبد إلا ما يوارى أبط بلال (١))) !!
لقد اعترضه أبو جهل ذات يوم عند الصفا ، فأذاه
وشتمه ، ونال منه ما يكره من العيب لدينه (٢) . .

و « بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر
الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فأخذ بمنكب رسول
الله ، خلف ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا ، فجاء أبو بكر
فأخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم
قال : اتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات
من ربكم (٣) ؟

وبينما كان صلى الله عليه وسلم يصلي عند الكعبة ، وجمع
من قريش في مجالسهم ، إذ قال قائل منهم : أيكم يقوم إلى
جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسلاها فيجىء به ،
ثم يمهل حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه ! ؟ فانيعت أشقاهم ،

-
- (١) الإمام أحمد : من حديث أنس رضي الله عنه . .
(٢) البداية والنهاية لابن كثير : من رواية ابن اسحاق ،
(٣) البخاري : من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص .

فلما سجد صلى الله عليه وسلم ، وضعه بين كتفيه ، وثبت
النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ، والقوم يضحكون حتى
مال بعضهم على بعض من الضحك ، الى أن جاءت فاطمة
الزهراء رضى الله عنها ، فرفعتة عن ظهره ..

النصر مع الصبر .. والفرج مع الكرب

ولقد كان لثبات الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذين
آمنوا معه ، وصبرهم على الأذى ذلكم الصبر الجميل ،
واستعدادهم الآلام في سبيل العقيدة التي استقرت في أعماقهم ،
كان لذلك اثره الفعال في النفوس ، فازداد الذين آمنوا ايمانا
بحقهم ، وازداد المشركون ترددا في باطلهم ، وحيرة في أمرهم ،
واختلط حقدهم على المؤمنين ، باعجابهم بما اظهروه من
ثبات ، وما تحملوه من أعنات ، وتفاعلت نفوسهم بشتى
الأحاسيس ، وظهرت آثار ذلك جليلة في خيارهم ، فأسلم حمزة
ابن عبد المطلب ، غضبا لتطاول أبى جهل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وسبه له واحتقارا لعذوان المشركين
على أبى بكر ، وتبعه في اليوم التالى مباشرة عمر بن الخطاب
رضى الله عنهما ، فاشتد ساعد الدعوة بإسلامهما ، وأحس
المشركون بأن مقاومة الحق بالقوة والقهر ، لا تزيده الا ظهورا
وانتشارا .. فعدلوا عن سبيل البغى والارغام ، الى سبيل
المفاوضة والاحتجاج ، فذهبوا الى أبى طالب يشكون اليه
النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون : « يا أبا طالب : ان ابن
أخيك سب آلهمنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل

آباءنا ، فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلق بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه » (١) .

وكانت حكمة المولى عز وجل ، قد اقتضت — في تأييده لنبيه ، وتخطيطه للدعوة ، أن يبقى أبو طالب على دين قومه ، ليدرا عن نبيه وحببيه عدوان المشركين ، اذ لو أسلم ما كان له عندهم وجاهة أو هيبة ، ولا جترؤا عليه ، ولدوا أيديهم والسنتهم بالسوء اليه ، ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم الركن الذى يستند اليه ، ويعتمد عليه ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين » .



وهكذا رد أبو طالب قومه ردا جميلا ، فانصرفوا عنه ، واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريقه ، حتى كبر على المشركين ما يدعوهم اليه ، فعادوا إلى أبي طالب ، أشد حقا واصراراً ، فقالوا له :

« يا أبا طالب : ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا ، وأنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وأنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو تنازله وإياك في ذلك ، حتى يهلك أحد

(١) تاريخ الرسل والملوك : ٢ / ٢٢٣ .

الفريقين (١) » .

عظم على ابي طالب تهديد القوم له ، وعداواتهم اياه ،
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له :

« يا ابن أخى : ان قومك قد جاعونى فقالوا كذا
وكذا ... فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر
ما لا أطيق (٢) .

وجد النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فى مفترق الطريق ،
وأحس بأن السند الوحيد الذى كان يعتمد — بعد الله — عليه
سيزداد وعورة ، والأخطار ستزداد شدة وحدة ، ولكن هيهات
أن يغير ذلك من إيمانه ، أو أن يفت ذلك فى عزيمته ، لأن
أقل تردد من رجل الدعوة ، سيجد صداد مضاعفا فى صفوف
المؤمنين ، فلا بد من الثبات مهما كانت الأحوال ، والله غالب
على أمره ، لا يذل من والاه ، ولا يعز من عاداه ، انه نعم
المولى ونعم النصير .

لم يتردد النبى فى اختيار طريق أولى العزم من الرسل ،
فقال لعمه :

« يا عم : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى
يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك

(١) البداية والنهاية ٤٧/٣ .

(٢) البداية والنهاية ٤٨/٣ .

فيه ما تركته » (١) .

نفذت قوة الايمان التى فاض بها قلب سيد المرسلين
صلى الله عليه وسلم ، الى احماق عمه ، فاذا به — وهو
الحريص على رضا قومه ، المتفق معهم فى العقيدة — يقول
للنبي صلى الله عليه وسلم :

« اذهب يا ابن اخى فقل ما احببت ، فوالله لا اسلمتك
لشئ ابدا » (٢) .

وهكذا يفعل الايمان الصادق بالنفوس ، انه ينير أشدها
ظلمة ، ويذيب أكثرها قساوة ، ويخضع أعظمها تمردا
وعنادا ..

تراجع المبطلين

ولم يقف أثر هذا الايمان عند أبى طالب ، لقد تعداه
الى خصوم الدعوة نفسها فعدلوا عن التهديد والعناد ، الى
المساومة والاغراء ، ظنا منهم ان الرسول صلى الله عليه
وسلم ، انما يريد بهذه الدعوة جاهها لنفسه ، أو مجدا لشخصه ،
فأرسلوا اليه فقالوا :

« يا محمد : انا بعثنا اليك لتكلمك ، انا والله ما نعلم رجلا
من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك ... فان
كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أهوالنا
حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تطلب به الشرف فينا
فنحن نسودك علينا ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ،

(١) و (٢) البداية والنهاية ٤٨/٣ .

وان كان هذا الذى ياتيك رؤيا تراه قد غلب عليك — اى مسا
من الجن — بذلنا اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ،
او نعذر فيك (١) !!

ولكن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم رفض كل
ما عرض القوم عليه من مال وجاه ، ومن ملك وسلطان ،
لأنه انما يريد وجه الله تعالى ، ولأنه يعلم علم اليقين ان قبوله
مع عدم وجود العصبية الاسلامية الكافية لاعراز كلمة الدين ،
واعلاء دعوة الحق ، سيجعله تحت رحمة خصومه ، فاما ان
يجاملهم فى حق الله ، طمعا فى الابقاء على ما منحوه اياه ، من
ملك وسلطان — وحاشا لنبي يفعل ذلك — واما ان يحرص
على القيام بحق الدعوة ، فيصطدم باهوائهم ، ويتعرض
ابطشهم فون ان يستطيع دفاعا ، ولامتهاتهم باسقاطه من
الملك ، وطرده من السيادة والسلطان .

من أجل ذلك أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن كل
تلك الوعود ، واعتصم بربه وبمن معه من المؤمنين وفضل
الصبر على الأذى ، على حكم زائل ، وسلطان باطل ، فقال
للقوم :

« ما بى ما تقولون .. ما جئت بما جئتم به اطلب
اموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثني
اليكم رسولا ، وانزل على كتابا ، وامرني ان اكون لكم بشيرا
ونذيرا ، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ، فان تقبلوا مني
ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وان تردوه على

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي : ٣٢٨/١٠ .

اصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم (١) .

وهكذا شأن الداعية الصادق مع ربه ، لا يحمله استعجال النصر على التعاون مع أعداء الله ، أو التهاون في تبليغ أمر الله ، لأنه في غنى بالله عن الناس جميعا ، ولا يغنيه الناس جميعا عن الله تعالى .

أحسن القوم بصغارهم أمام عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم وسلم وآبائه . . أحسوا بضعفهم — وهم الأقوياء عدة وعددا — أمام ثبات الرسول صلى الله عليه وسلم وإصراره ، . . أحسوا بكيانهم ينهار ازاء هدوئه وتسليمه ، . . أحسوا بباطلهم يتزلزل أمام قوة الحق الذي ينادى به ، ويدعو اليه . . . أحسوا بأن الهزيمة توشك أن تحيق بهم ، فأخذتهم العزة بالاثم ، ودفعتهم عنجهية الجاهلية الى أن يحاولوا الاحتفاظ بكيانهم ، والتعصب لبهتانهم ، والاصرار على مكابرتهم وعنادهم ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا محمد : ما بالك وانت رسول الله ، تأكل الطعام ، وتقف بالأسواق . . . » ذنبا منهم أن النبوة تتعارض مع أكل الطعام ، أو أن النبي لا يجوز أن يكون بشرا ، أو أن وقوفه معهم في الأسواق وتواضعه معهم ، واختلاطه بهم ، يعظم ويهديهم ، ويأمرهم وينهاهم ، كل ذلك لا يتفق مع جلال النبوة ، وشرف الرسالة .

وقد رد الله تعالى عليهم أبلغ رد فقال :

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٨/١٠ .

« وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل اليه مال فكيف يكون معه نذيرا . او يلقي اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقال الظالمون ان تتبععون الا رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا . » الفرقان : ٧ — ١٠ .

ثم قال عز وجل :

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ، وكان ربك بصيرا » الفرقان : ٢٠ .

وواصل المشركون عنادهم ومكابراتهم ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « انك قد علمت انه ليس من الناس احد اضيق بلدا ولا اقل مالا ولا اشد عيشا منا ، فسل ربك الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهارا كأنهار الشام ، وليبعث لنا من مضي من آبائنا ، — وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب ، فانه كان شيخا صدوقا — فنسألهم عما تقول : أحق هو أم باطل ؟ . فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك ، وعرفنا به منزلتك من الله تعالى ، وأنه بعثك رسولا كما تقول !!

فقال لهم صلى الله عليه وسلم :

« ما بهذا بعثت اليكم ، انما جئتكم من الله تعالى بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ، فان تقبلوه فهو

حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » .

فأبى القوم ألا تعنتا . . . فقالوا :

« فإذا لم تفعل هذا فخذ لنفسك . . سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وأسأله فليجعل لك جنانا وقصورا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبغى ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك أن كنت رسولا كما تزعم » .

فقال صلى الله عليه وسلم :

« ما أنا بفاعل ، وما أنا بالذى يسأل ربه هذا ، وما بعثت بهذا اليكم ، ولكن الله بعثنى بشيرا ونذيرا . . » . واستمر القوم في جدالهم فقالوا :

« فأسقط علينا كسفا كما زعمت أن ربك أن شاء فعل ، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل » !

فقال صلى الله عليه وسلم :

« ذلك إلى الله عز وجل ، أن شاء أن يفعله بكم فعل » . فقالوا :

« يا محمد : فما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألتك عنه ونطلب منك ما نطلب ، فيتقدم اليك فيعلمك بما تراجعنا به ، أنه قد بلغنا أنك إنما تعلمك هذا رجل من الإمامة يقال له الرحمن ، وأنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدا ، فقد أعذرنا اليك يا محمد ، وأنا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلك أو تهلكنا . . ولن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة

قبيلًا . أو تتخذ إلى السماء سلما ، ثم ترقى فيه حتى تأتيها ،
ثم تأتي معك بصك معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك
كما تقول ، وأيم الله لو فعلت ذلك ، ما ظننت أنى
أصدقك (١) !!

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا آسفا ،
لما فاته من هداية قومه ، ولما رآه فيهم من عناد في الباطل ،
ومكابرة للحق ، وإصرار على الضلالة ، وأبى الله تعالى إلا الرد
على المكابرين ، وافحام المتعنتين ، تعزية لرسوله ، وتثبيتا
لإيمانه ، فأنزل قوله تعالى :

**((وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا .
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا .
أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالهالة والملائكة
قبيلًا . أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن
نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي
هل كنت إلا بشرا رسولا . وما منع الناس أن يؤمنوا إذ
جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا . قل لو كان
في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا))** الإسراء ٩٠ - ٩٥ .

اعتراف المشركين بدعوة الحق

ولقد طالت مجادلات المشركين لرسول الله ، ومحاولاتهم
معه ، وهو لا يتزعزع قيد شعرة عما أمر به وأنزل عليه ،
فلا يزداد مع الأيام إلا قوة ، ولا يزدادون إلا شكا وخسرانا ،

(١) البداية والنهاية : ٥١/٣

حتى غدوا في حيرة من أمرهم غلا هم قادرون على البطش برسول الله ، خوفا من انحياز بنى هاشم اليه ، ولا هم مستطيعون اغراءه بأعراض الدنيا ، وقد أظهر لهم زهده فيها ، وتضاؤله عنها ، ولا هم حائلون بين دعوته وبين التسلل الى أعماق القلوب ، لما لهذه الدعوة من سحر ، ولما عرف به صاحبها من صدق واخلاص ، لا في نفوس المؤمنين به فحسب ، بل في نفوس المتربصين به ، المعاندين له ، حتى أن عتبة بن ربيعة — وقد انتدبه قومه لمساومة الرسول صلى الله عليه وسلم — ما كاد يطلع عليهم عائدا من لدنه ، حتى قال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به !!

فلما جلس اليهم قال لهم :

((والله لقد سمعت قولا ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا الكهانة .. يا معشر قريش : اطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فو الله ليكون لقوله الذي سمعت نبا ، فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به !!)) .

بل لقد طرقت دعوة الحق بقوتها جبابرة القوم ، حتى ساقتهم الى الاستماع للرسول ، وهو يرتل القرآن ترتيلا ، اثناء صلاته في جوف الليل ، حتى أن أبا جهل وأبا سفيان ، والأخنس بن شريق خرج كل منهم ذات ليلة .. فأخذ كل واحد مكانه دون أن يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون القرآن حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا وقال

بعضهم لبعض : « لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا » ، .. فلما كانت الليلة الثانية ، عاد كل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون القرآن حتى أصبحوا ، ففترقوا منصرفين ، فاذا بهم يلقي بعضهم بعضا ، فقالوا مثل قولهم بالأمس ، ولكن وقع القرآن في نفوسهم كان أقوى من أن يقاوم ، فلما كانت الليلة الثالثة تسلك كل منهم الى مكانه ، فباتوا يستمعون القرآن حتى مطلع الفجر ، فلما جمعهم الطريق في عودتهم ، قالوا : لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود ، فتعاهدوا على ذلك وفترقوا .. (١) .

وهكذا كانت دعوة الحق تشق طريقها ، لا في صفوف المؤمنين بها فحسب ، بل في صفوف المعاندين لها ، فقد جحدوا بها في ظاهر الأمر ، واستيقنتها انفسهم في الحقيقة والواقع حتى أن الأحنس بن شريق ، أتى أبا سفيان صبيحة اليوم الذي تعاهدوا فيه على أن لا يعودوا ، فقال له :

— أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟

فقال : يا أبا ثعلبة : والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها .

فقال الأحنس : وأنا .. والذي حلفت به !!

ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل .

فقال له : يا أبا الحكم ! ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ .

(١) البداية والنهاية ٦٣/٣ — عن رواية البيهقي عن

ابن عمر رضي الله عنهما .

فأجاب : ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذا ؟ والله لا نسمع به أبدا ولا نصدق (١) !! .

فأعداء الحق لم ينكروه لشكهم في صحته ، وإنما فعلوا ذلك حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق . ؟

طريق العسرة

كان من الطبيعي وقد وصلت الدعوة في موقفها من المشركين ، وموقف المشركين منها ، الى هذا الوضع من الجمود ، أن يتطور الأمر بين الفريقين ، فقد أحس المشركون بأنهم لا يزدادون بهرور الأيام الا ترددا وضعفا ، فكان لابد لهم من أن يشتدوا في مقاومة الحق ، والتنكيل بأهله ، انتقاما لما فقدوه من كرامة وهيبة ، وما أصابوه من هزيمة وخيبة ، وبمعكس ذلك : كان النبي صلى الله عليه وسلم . فقد ايقن أن دعوته تزداد بمرور الأيام رسوخا وقوة وأنها تشق طريقها حيثما رغم كل العقبات ، وتنفذ بشعاعها الى كل القلوب رغم ما بذله القوم من محاولات ومكابرات ، فكان لابد له من أن يواصل الطريق الذي أمره الله به ، بعزيمة قوية ، وهمة عالية ، ليحقق للدعوة القوة اللازمة لظهورها ، واعزاز كلمتها ..

(١) البداية والنهاية ٦٣/٣ .

وجاء الوحي من السماء محققا للرسول الأعظم أميته ،
وموضحا له وجهته ، ودافعا به الى الجهر بالدعوة ، دون
مبالاة باستهزاء ، أو خوف من اعتداء ، فنزل قوله تعالى :

**((فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين . انا كفيناك
المستهزئين .))** الحجر ٩٤ و ٩٥ .

وقد تضمنت هذه الآية من المعاني القوية ، ما يوضح
لسيد الدعوة سبيل الدعوة في مرحلتها الجديدة ، نحو العزة
المنشودة .

أولها : الأمر بالصدع : أي صدع المعاندين للدعوة ،
باعلانها قوية لهم ، واقامة الحجة بها عليهم ، فإن ذلك
سيؤدي الى تفرق صفوفهم ، واختلاف آرائهم ، كنتيجة لقوة
الحق الذي يزلزل باطلهم ، فيدفع البعض منهم الى التسليم
به ، والانصياع له ، ويدفع البعض الآخر الى التردد والشك ،
ويبقى الآخرون على المكابرة والعناد .

ثانيها : الأمر بالاعراض عن المشركين ، وهو تعزيز للأمر
بالصدع ، ونبيجة طبيعية له ، لأنه لا سبيل الى اعلان الدعوة ،
واقامة الحجة ، مع مصاحبة المعاندين لها ، أو مصادقة
المتربصين بها بعد أن ثبت أصرارهم على الباطل ، وكراهيتهم
للحق . إنما تظهر الدعوة ، باقامة الحجة بها وتسفيه الآراء
المضادة لها .

ثالثها : الوعد بالكفاية من الأذى ، وهو تمكين للأمر
بالاعراض عن المشركين ، وتثبيت للرسول صلى الله عليه وسلم
حتى يقوم بأمر الله ، فلا يخاف أحدا سواه ، ولا يقيم وزنا لمن

عداه ، ووعد من الله تعالى للقائمين بأمره ، الداعين الى سبيله ، أنهم ان صدقوا في دعوتهم ، ولم يخشوا في الله لومة لائم ، ان يكلاهم الله تعالى برعايته ، ويحيطهم بحمايته ، ووعيد الأعداء ان الله من ورائهم محيط ، فمهما دبروا ومكروا ، ومهما توفر لهم من قوة البطش والسلطان ، فهم الى الهلاك صائرون ، وما الله بغافل عما يفعل الظالمون . ولقد تحقق ذاك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كفاه الله شر المستهزئين ، الذين تمادوا في اذاء الرسول الأعظم ، واكثروا الاستهزاء به ، « وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة ، وهم : الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطلب ، والأسود بن عبد يغوث ، والحارث ابن الطلائة أهلكهم الله جميعا في يوم واحد » (١) .

انطلاق الدعوة بعد الحصار

وقام سيد الدعوة صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، حتى فشا الاسلام في القبائل ، وقابل المشركون ذلك بالشدة على المسلمين ، حتى بلغ بهم الجهد ، واشتد عليهم البلاء ، فما زادهم الا ايمانا وتسليما ، حتى اعتزم القوم في النهاية قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية ، ولكن الله تعالى سخر أبا طالب لحماية نبيه وحبيبه فأمر قومه ان يدخلوه شعبهم ، وأن يمنعوه ممن أرادوا قتله ، « فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم ، فمنهم من فعله حمية ، ومنهم من فعله ايمانا و يقينا .. فاجمع المشركون أمرهم ان لا يجالسوهم ،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٦٢ .

ولا يبائعوهم ، ولا يدخلوا بيوتهم ، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل (١) « وكتبوا بذلك صحيفة علقوها بالكعبة ، ولم يقفوا في عدوانهم عند هذا الحد ، بل سطوا على من أسلم عندهم فأوثقوهم ، وأذوهم ، أذاء شديدا . . وأقام المسلمون على ذلك سنتين أو ثلاثا ، لا يصلهم شيء من الطعام الا سرا ، حتى أكلوا ورق الشجر ، وحتى سمعت أصوات صبياتهم يتضاغون جوعا ومسغبة ، فعظمت بهم الفتنة ، واشتد بهم الكرب ، وزلزلوا زلزالا شديدا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم يثبتهم ويواسيهم ، مواصلا الدعوة الى الله ، مناديا بأمره ، داعيا الى سبيله ، حتى أحس القوم بعجزهم ازاء ذلكم الايمان ، الذى لا ترعزه الشدائد ، ولا تنال منه المحن والكروب ، وتحول حقدهم على المسلمين ، الى اعجاب بجلدهم ، وتعظيم لبطولتهم ، وانقلب شعورهم بالفخر بايذائهم ، الى احساس بالخزى من فعلتهم ، فتلاوم البعض منهم فيما بينهم ، ورأوا انهم قد قطعوا الرحم ، وأستخفوا بالحق ، فاجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من اثم ، والتبرء مما وقعوا فيه من ظلم وعدوان ، وهكذا تطرق الخلاف الى صفوف المبطلين ، وخرج المسلمون من هذه المحنة ، وهم اقوى ايمانا ، وأرسخ يقينا ، وأشد وحدة وتضامنا وأعظم شدة وبطشا .

(١) البداية والنهاية ٨٤/٣ من رواية موسى بن عتبة

عن الزهرى .

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتى هي احسن ان ربك
هو اعلم بمن ضل عن سبيله
وهو اعلم بالمهتدين » .

(النحل ١٢٥)

من آداب الدعوة

- ادع الى سبيل ربك
- مواجهة المعاندين بالشدة والغلظة
- من السلبية الى الايجابية
- الاذن بمقابلة القوة بالقوة
- يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
- اول دستور نبوى في المدينة
- توثيق الروابط بين دعاة الحق

ادع الى سبيل ربك

—انطلقت الدعوة من معقلها الذى انحصرت فيه طوال ثلاث سنوات واستعداد رسول الله صلى الله عليه وسلم حريته فى الخروج والاتصال بالناس ، وقد فعلت الشدائد التى اجتازها المسلمون فعلها فى قلوب المشركين ، فأذابت من البعض قسوتهم ، وبددت قسطا من ظلماتهم ، وأصبح الكثيرون منهم أوفر استعدادا للاستماع للدعوة ، وأكثر قربا الى تصديقها من قبل ، فكان لابد لمقابلة هذا الظرف الجديد ، بحكمة وروية ، وكان لابد من تنظيم السبيل الى نشر الدعوة على أسس مثمرة ، لتصل بنورها الى أعماق المترددين منها ، وتفحم ببرهانها جموع المعاندين لها ، وهكذا اقتضت حكمة المولى عز وجل ، أن يبين لنبيه ورسوله طرفا من آداب الدعوة الكبرى ، فأوحى اليه بقوله تعالى :

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن . ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » النحل : ١٢٥ .

ولقد ضمنت هذه الآية الكريمة أكرم دستور للداعية الى سبيل الله — وسبيل الله هو الاسلام الذى لا يأتیه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه — وأسمى الآداب التي يلزم له التأدب بها ، في دعوته الناس الى الهدى ودين الحق ، باختلاف جبلاتهم ، وتباين عقولهم وأفكارهم .

تضمنت هذه الآية ما يأتي :

أولا : الدعوة الى الله بالحكمة ، التي تخاطب الناس بما يناسبهم من أساليب الكلام ، المتفقة مع عقولهم ، والمناسبة لظروفهم وجبلاتهم ، فان الناس خلقوا وفطروا على ثلاثة أنواع :

النوع الأول : يميل بفطرته الى الحق ، ويدرك ببصيرته مدى نصيب الدعوة من الصدق ، ومدى أمانة الداعية في التبليغ ، فلا يلبث أن يستجيب لنداء الحق لأول وهلة ، ولا يتردد في العمل على نصرته ، والجهاد في سبيله ، وهكذا كان شأن الرعيل الأول من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلى رأسهم الصديق رضى الله عنهم أجمعين ، فانهم لم يترددوا في الاستجابة لدعوة الايمان ، بمجرد استماعهم لما أنزل من القرآن ، وما عرض عليهم من التبليغ والبيان .

ثانيا : الدعوة الى الله بالوعظة الحسنة : وهذا فيما يختص بالنوع الثاني من الناس ، وهم أغلبهم ، ممن لم يبلغوا حد الكمال الذي وصل اليه الأولون ، ولم ينزلوا الى حضيض النقصان الذي انحدر اليه الكافرون ، فهم على فطرة سليمة ، وخلقة كريمة ، ولكنهم ما زالوا في تردد بين التزام الباطل الذي نشأوا عليه ، واتباع الحق الذي دعوا اليه ، فهؤلاء يحتاجون الى الموعظة الحسنة ، والقول البليغ

والبيان النافع ، من ترغيب في اتباع الحق وايضاح لما فيه من
خير وبر ، ومن ترهيب من الاصرار على الباطل ، وتدليل على
ما فيه من اثم وجور ، وفسق وفجور . وهكذا حتى يتضح
لهم الطريق مستقيما ، ويظهر لهم النور ساطعا ، فيضع حدا
لترددهم ، ويدفع بهم الى صفوف المؤمنين ، تحت لواء اشرف
الانبياء والمرسلين .

ثالثا : الجدال بالتي هي احسن : وهذا فيما يختص
بالنوع الثالث من الناس ، ممن سيطرت على قلوبهم حمية
الجاهلية واخذتهم العزة بالاثم ، فأصروا على الباطل ،
ووقفوا من دعوة الحق موقف العناد والاستكبار ، وقالوا في
ضلالهم المبين : ((لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم)) (١) او ((قالوا مثل ما قال الاولون * قالوا اعذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لبعوثون * لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا
من قبل ان هذا الا اساطير الاولين)) المؤمنون : ٨١ - ٨٣ .
ان مثل هؤلاء لا تجدى فيهم بلاغة القرآن ، ولا تنفعهم
الموعظة الحسنة ، بل لابد من مجادلتهم بالتي هي احسن ،
باقامة الحجة عليهم ، وبيان الدليل القاطع لهم ، مع التزام
الرفق بهم ، واتباع اللين معهم فان ذلك انفع في اطفاء
جاهليتهم ، وتسكين حميتهم لان التعسف لن يزيدهم الا
اصرارا ، والغلظة لن تزيدهم الا نفورا واستكبارا ، وهكذا حتى
ينقادوا الى الحق ، او يحكم الله فيهم بأمره ، وهو خير
الحاكمين ..

(١) الزخرف : ٣١ .

أساليب الجدل بالتي هي أحسن :

ولقد عنى المولى عز وجل بتوجيه نبيه صلى الله عليه وسلم ، الى كيفية مجادلة المعاندين بالتي هي أحسن ، لأنهم أولى بالدقة في الخطاب ، واحوج الى التلطف والاحتياط ، حتى لا يزدادوا بالدعوة كثرا وضلالة ، وعسى أن ينفذ الى قلوبهم المتحجرة شعاع من الهداية ، قد يكون فيه خلاصهم من الكفر ، واخراجهم من الظلمات .

من أجل ذلك ضرب الله تعالى — في تعليمه لنبيه صلى الله عليه وسلم — أمثلة من أساليب الجدل بالتي هي أحسن لينهج نهجا ، ويقيس عليها ، في مثل قوله تعالى :

((قل من يرزقكم من السموات والأرض ؟ قل الله وأنا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)) سبأ : ٢٤ .

وهذا منتهى الأدب في الخطاب ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يشك في كونه على هدى من ربه وفي كون خصومه في ضلال مبين ، ومع ذلك فقد علمه الله كيف يعلن للقوم كل ذلك ، دون جرح لشعورهم ، أو إثارة لكبرياتهم ، بعد أن أقام الحجة عليهم ، وقدم البرهان القاطع لهم !! .

ومثال آخر لأدب المجادلة ، قوله تعالى :

((ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أراني الله بضرب هل من كاشفات ضره أو أراني برحمة هل من ممسكات رحمته ؟ قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون)) الزمر : ٣٨ .

وفي هذا الأسلوب منتهى الحكمة في إقامة الحجة ، فبعد

ان اعترف القوم بأن الله هو خالق السموات والأرض ،
استفهم منهم النبي — بتوجيه من ربه عز وجل — عن
آلهتهم ، ومدى قدرتها على رفع الضر ، أو امساك الرحمة ،
مع علمه اليقيني بأنها لا تملك شيئا من ذلك ، ولكنه أمر بالعدول
عن مجابهة القوم بهذه الحقيقة المخرجة لهم ، الى سؤالهم
عنها ، فلما عجزوا عن الإجابة ، صدعهم النبي بما أمره به
الله من القول الفصل ((حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون)) .
ومثال ثالث : قوله تعالى :

((قل أرايتم ما تدعون من دون الله ؟ أروني ماذا خلقوا من
الأرض ؟ أم لهم شرك في السموات ؟ أئتوني بكتاب من قبل هذا
أو أثارة من علم أن كنتم صائقين)) الاحقاف : ٤ .
وفي هذه الآية صورة أخرى للمجادلة الهادئة المفحمة ،
فبدلا من مجابهة الكفار بعجز آلهتهم عن خلق أى شيء في
الأرض ، وعن أى سلطان لهم في السماء ، أمر النبي صلى
الله عليه وسلم بسؤال القوم عن ذلك ، لأن السؤال أكثر
رفقا ، ويؤدي الى نفس النتيجة ، من ظهور المعجز ،
وسقوط الحجة .

* * *

مواجهة المعاندين بالشدة والغلظة

على أن هذا الأسلوب الحكيم في الدعوة إلى الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن ، كان يتجه إلى الشدة والغلظة ، بالنسبة لنوع آخر من الناس ، قد وقفوا من رسول الله موقف العداء الصريح ، ومن دعوة الله موقف التكذيب والتجريح ، فكان لابد لسيد الدعاة صلى الله عليه وسلم ، أن يكون موقفه من هؤلاء موقف الحزم داحضا لباطلهم ، وأرغاما لاتوفهم .

وكما بين الله تعالى لسيد المرسلين أساليب الرفق في الدعوة ، والحكمة في التبليغ ، فإنه ضرب له الأمثال في الرد على الكاذبين المعتدين ..

● فهذا هو أبو لهب ، يرى النبي صلى الله عليه وسلم فوق الصفا ، وقد اجتمع حوله الناس ، وهو يقول لهم : — أرايتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الوادي أكنتم مصدقي .

قالوا : ما جربنا عليك كذبا .

فيقول لهم ((اني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) .

ثم يدعوهم إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، فيصيح فيه أبو لهب :

تبا لك : أما جمعتنا إلا لهذا ؟ .

فينزل الله تعالى قوله :

((ثبت يدا أبى لهب وتب ...)) ردا على تطاوله على النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحقيرا لجأه وماله .

● وهذا هو الوليد بن المغيرة يسمع من رسول الله من الآيات ما يأخذ بلبه ، ويطلق فؤاده ، حتى أنه ليقول : **((والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ، وان له لحلاوة ، وان عليه لظلاوة وان اعلاه لثمر ، وان اسفله لمندق ، وانه ليعلو ولا يعلى عليه ، وما يقول هذا بشر))** (١) !! .

ومع ذلك يبالغ في اذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ويرميه بالسحر ، وتأخذه العزة بالاثم ، فيكفر بما أنعم الله عليه من مال وبنين ، وجنات وعيون ، حتى كان يسمى الوحيد في قومه ، وكان يقول في معرض الكبرياء والفخر ، **((أنا الوحيد بن الوحيد ، ليس لى في العرب نظير))** ، وحتى بلغ به الادعاء أن قال : ان كان محمد صادقا ، فما خلقت الجنة الا لى !! .. فأنزل الله تعالى فيه :

**((نرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا *
وبنين شهودا * ومهنت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد *
كلا انه كان لآياتنا عنيدا * سنرهقه صعودا *))**
المدر : ١١ - ١٧ .

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/٧٢ ، ٧٣ .

فما زال بعد نزول هذه الآيات في نقصان من ماله وولده حتى هلك .

● وهذا هو الأخنس بن شريق « فيما رواه الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنه ، وكان يلزم الناس ويعيبهم ، مقبلين ومدبرين » (١) وقد ظن أنه لن يقدر عليه أحد ، فأنزل الله تعالى فيه :

« ويل لكل همزة لمزة * الذى جمع مالا وعدده * » (٢)
وبنفس هذا الأسلوب في القوة والشدة ، الذى قابل به القرآن طغيان الأفراد ، نجده يخاطب جماعات الكاذبين المعاندين ، خطاب التحدى لباطلهم ، المعلن عن سوء مصيرهم في مثل قوله تعالى :

« ويل يومئذ للمكذبين » الرسائل : ١٩ .

وقوله : **« ألقيا في جهنم كل كفار عنيد * مناع للخير معتد مريب * الذى جعل مع الله ألها آخر فآلقياه في العذاب الشديد »** ق : ٢٤ — ٢٦ .

وقوله : **« ان المجرمين في ضلال وسعر »** القمر : ٤٧ .
وهكذا توضح لنا كل هذه الآداب والأساليب القرآنية ، ما يجب أن يكون عليه الداعية المحمدى من استعداد لتفهم الناس ، وقدرة على مخاطبة كل فريق منهم بما يليق به ،

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٢٠ .

(٢) سورة الهمزة ١ ، ٢ .

من تُلطف ورفق ، أو من شدة وحزم . فانه بذلك يسير بالدعوة قدما الى الامام بما يكتسبه من تأليف لقلوب المؤمنين به ، وتقريب لشقة المترددين منه ، وارغام لأعداء الدعوة على استشعار الهيبة منها ، والاحترام لها .

نحو افق جديد

والآن .. وبعد سنوات طويلة من جهاد متصل ، حمل فيه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لواء الدعوة الكبرى سالكا السبيل الذى رسمه الله له ، من قيام بالليل ، وترتيل للقرآن ، وجهاد للنفس ، وتطهير للروح ، وتواضع لله والناس ، ومداومته على الطاعة ، وتبليغ للدعوة ، وتكوين للصف الأول من المؤمنين ، وانذار للعشيرة والأقربين ، وتوكل على العزيز الرحيم ، وصبر على الأذى ، واصرار على اظهار الدعوة ، دون مبالاة بالوعود ، أو خوف من الوعيد ، وصدد بأمر الله ، واعراض عن الكفار والمشركين ، واستخفاف بالحصار والمقاطعة ، والتزام للحكمة والموعظة الحسنة فى خطاب المترددين ، والجدال بالتي هى أحسن مع المعاندين ، واتباع للشدة فى افحام المكذبين ، وتسفيه المعتدين الآثمين ..

الآن وقد مرت الدعوة الكبرى بكل هذه المشاق ، وخرجت منها دائما أقوى عودا ، وأوضح حجة ، وأكثر عددا وانصارا، كان لابد وأن تدفع بها العناية الالهية نحو افق جديد ، وأن تمدّها لطور آخر من كفاح خطير ، وجهاد مرير .

وكما اقتضت مشيئة المولى عز وجل فى رعايته لنبيه وحبيبه ، أن يكفيه شر المستهزئين ، حين أمره بالصدد

بأمره ، والاعراض عن المشركين ، فقد اقتضت رحمته
جلا وعلا ، أن يكرم نبيه والذين آمنوا معه — بعد أن قابلوا
الأهوال بالصبر الجميل — فيخرجهم من هذه المحنة القاسية
ليتبوعوا المكان الجدير بما بذلوه من تضحيات ، وتحملوه من
جور واعنات تصديقا لوعده الكريم في كتابه المبين :
« **وعسى الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن
لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا** » .
النور : ٥٥ .

من السلبية .. الى الإيجابية

ولقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذين آمنوا
معه ، طوال هذه السنوات ، ملتزما في القيام بأمر الله ،
سبيل المقاومة السلبية ، يقابل العدوان بالصبر ، والأذى
بالصفح الجميل ، والاساءة بالاحسان والاكرام ، حرصا منه
على هداية النفوس ، وتأليف القلوب ، واطفاء الأحقاد ،
واكتساب الوقت الكافي لتبليغ الدعوة ، وتدعيم صفوفها ،
وتقوية عودها ، حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا .

وقد كان أصحابه رضوان الله عليهم ، كلما اشتد بهم
الكرب ، أو ضاقت بهم الأرض بما رحبت ، يستأذنون
الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، في الدفاع عن
انفسهم ، وقتال المشركين عن دينهم ، ومقابلة العدوان
بالعدوان ، ولكن الرسول الأعظم صلوات الله عليه ، ما كان
ليصدر عن هوى ، أو يقدم على غير وحي من ربه وهدى ،
فكان يقابل غضبة أصحابه لعدوان ، وحماستهم لنزال ،

بأنه لم يؤمر بعد بالقتال ، انتظاراً منه لأمر الله تعالى ،
ولشفافاً منه على هذه الحفنة المؤمنة — وهو صلى الله عليه
وسلم ((بالمؤمنين رعون رعون)) — أن تدخل معركة غير
متكافئة القوى ، قد يكون فيها القضاء المبرم عليها ، بل
القضاء التام على الدعوة بأسرها ، لما كان عليه المؤمنون
آنئذ من قلة في العدد ، وضعف في العدة ، ولما كان يحيط بهم
من قوى قاهرة طاغية ، وحشود كافرة باغية .

وهكذا : استمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ملتزماً
سبيل الدعوة إلى ربه ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، حتى
كانت بيعة العقبة الثانية ، وفيها بايعه سبعون من أهل
المدينة ((على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة
في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وأن يقولوا في الله ، لا يخافون في الله لومة لائم ، وعلى أن
ينصروه ويمنعوه إذا قدم عليهم مما يمنعون منه أنفسهم
وأزواجهم وأبنائهم ، ولهم الجنة)) (١) .

كانت هذه البيعة ايذاناً بانتقال الدعوة من حال إلى
حال آخر ، فخلد نشأ الإسلام بعدها في المدينة المنورة ، حتى
لم يبق بها بيت إلا واقتحمته الدعوة الجديدة بنورها ، وأحس
المسلمون في مكة أنهم لم يعودوا وحدهم في الميدان ، وأن
حالة الجمود التي سيطرت على الدعوة لسنوات طويلة ،
تحولت إلى حياة متدفقة في ميادين أخرى ، لا سيطرة لكفار

(١) البداية والنهاية ١٥٩/٣ .

قريش عليها ، فضايف ذلك من عزيزتهم ، وجدد الأمل البعيد
في نصر من الله وفتح قريب .
كانت هذه البيعة ايزانا بانتهاء عهد احتمال الأذى ،
والسكوت على الضيم ، وبدءا لعهد آخر ، يعد فيه المسلمون
العدة للدفاع الإيجابي عن أنفسهم ، ووضع حد للظلم الواقع
بهم .

الهجرة في سبيل إعلاء كلمة الله

وكان لابد لتحقيق كل ذلك من الخروج من هذه القرية
الظالم أهلها ، التي وقفت أكثرية أهلها من دعوة الحق ،
موقف العناد والتكذيب ، وموقف التحدى والعدوان ، لأنه
لا مجال لتجميع القوى ، وتنظيم الجهود ، في مجتمع مضاد
للدعوة ، كافر بمبادئها وأهدافها .
من أجل ذلك كانت الهجرة الكبرى ، هي الخطوة
الحاسمة في حياة الدعوة ، والحد الفاصل بين الضعف
والقوة ، وبين الذل والعزة ، وبين الجمود والانطلاق .
وهكذا : أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه
بالخروج الى المدينة ، والحق باخوانهم من الانصار ، وقال
لهم : « ان الله قد جعل لكم اخوانا ونارا تلمنون بها » .
وكما بدأت الدعوة بمكة الى الله سرا ، فكذلك بدأت
الهجرة الى المدينة المنورة سرا ، حرصا من النبي صلى الله
عليه وسلم على سلامة أصحابه ، وحتى لا يؤدي إعلان
الهجرة الى تحفيز أعداء الدعوة ، للوقوف في وجهها ، والسعى
الى إحباطها .

لقد ظل النبي يرقب هجرة أصحابه ، أفرادا وجماعات ، وهو في مكان القائد الحريص على جنوده ، القائد الذي يعرف معنى القيادة ، ويعطيها حقها من الثبات والفداء ، فيكون أول من يقدم لمجابهة الأخطار ، وآخر من ينجو من مواطن الهلاك والدمار .

وحيثما اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم على سلامة أصحابه وأنه لم يبق منهم بمكة من حبس أو فتن ، أحق صلى الله عليه وسلم بمن سبقه إلى المدينة ، بانن من ربه عز وجل لتبدأ دعوة الحق مرحلة جديدة من الكفاح الإيجابي ، تقابل فيه القوة بالقوة ، والعدوان بالمعدوان حين نزل الأذن بالقتال .

الآن بمقابلة القوة بالقوة

وهكذا : أذن الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه ، أن يمتشقوا الحسام ، وبشرهم في نفس الوقت ، بدفاعه عنهم ، ونصرته لهم ، فأوحى إلى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم بقوله :

« أن الله يدافع عن الذين آمنوا ، أن الله لا يحب كل خوان كفور * أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وأن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصارات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، أن الله لقوى عزيز »
الحج : ٣٨ — ٤٠ .

وهكذا : بلغ من تكريم الله تعالى لهذه الحفنة المؤمنة ،
التي جاهدت وصبرت ، وهاجرت وضحت ، أنه وعدهم
بالدفاع عنها ، قبل أن يأذن لهم بالقتال ، ثم أكد لهم قدرته
على نصرهم ، رغم قلة عددهم وضعف عدتهم ، تشجيعا لهم
وتثبيتا لأقدامهم .

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، فلا يخافون ظلما ولا
هضما ، ولا يخشون هزيمة أو اندحارا . . ما دام إيمانهم بالله
قويا ، واعتمادهم عليه كاملا .

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، فلا استكانة بعد اليوم
لظلم ، ولا خنوع بعد اليوم لقوة ، ولا حياة بعد اليوم إلا حياة
العزة والكرامة ، والقوة والسيادة .

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، الذين لو كتب الله لهم
النصر لفساروا في الأرض سيرة المتقين ، فاقاموا الصلاة . .
وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكفى بالله وائيا
وكفى بالله نصيرا .

ولقد أوضحت هذه الآيات البينات ، أن الجهاد في الاسلام
لم يشرع لمجرد السيطرة والاستعمار ، وإنما شرع لأهداف
سامية ، وغايات انسانية عادلة ، منها درء الظلم ، وإيجاد
التوازن الضروري لدفع الظالمين ، وإيقافهم عند حدودهم ،
وتوفير الحماية لبيوت الله باختلاف أديان العابدين فيها ،
من صوامع للنصارى ، إلى بيوع لليهود ، إلى منى لاهل
المسلمين ، وهي المساجد ، وليس بعد ذلك ما هو أشرف
هدفا أو أسعى غاية .

عصمة الله لسيد الأنبياء

وكما اقتضت مشيئة المولى عز وجل ، في رعايته لنبيه وحببيه ، أن يكفيه شرا المستهزئين ، حين أمره بالصدع بأمره ، والاعراض عن أعدائه ، فذلك اقتضت حكمته — في هذه الدفعة الجديدة من الدعوة — أن يعده بالعصمة من الأذى ، والحماية من العدوان ، تثبيتا لأقدامه ، وشحذا لعزيمته ، وتدعيما لآيمان أصحابه وأنصاره .

وهكذا أوحى رب العالمين ، الى سيد المرسلين :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وإن لم تفعل فمأبىك رسالتك ، والله يعصمك من الناس ، إن الله لا يهدي القوم الكافرين » (المائدة ٦٧) .

ولقد تضمن هذا البلاغ الإلهي العظيم ، من التوجيهات الحاسمة ، ما يجب الوقوف منها موقف التأمل والاعتبار . . . والتفقه والاستبصار .

تضمن هذا البلاغ العظيم :

أولا : الأمر بوجوب تبليغ الدعوة ، والاصرار عليها ، وهو تأكيد لما سبق من أوامر بالإنذار والصدع ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ، ما قصر قط في تبليغ ما أنزل اليه وإنما المقصود من هذا الأمر الجديد هو مضاعفة الجهد ، والتماس الوسائل المختلفة لإعلان الدعوة ، أشد ما تكون قوة وصراحة ، وأعظم ما تكون بيانا واضحا . لأن هذه

الدعوة ليست دعوة أحد من الناس ، إنما هي دعوة رب العالمين ومن ثم فإن القيام بأمرها ، يجب أن يكون بالصورة التي تتفق مع عظمة هذه النسبة المقدسة ، ومآلها من قوة وقهر وسلطان . . . وما يحق لها من امتثال واستجابة واذعان .

ثانيا : الأمر بأن تبليغ الدعوة يجب أن يكون كاملا شاملا ، لأنها كل لا يتجزأ ، ولأن التغاضي عن تبليغ أى جزء منها كالتغاضي عن تبليغ الدعوة كلها ، لا وإن لم تفصل فما بلغت رسالته .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : المعنى : بلغ جميع ما أنزل اليك من ربك ، فإن كتمت شيئا منه فما بلغت رسالته (١) .

وهذا الخطاب وإن كان موجها الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ففيه توجيه وتحذير للعلماء كافة حتى لا يترددوا في اظهار حكم الله في كل الأمور التي تعرض لهم ، والا يكتموا شيئا من شريعته ، رغبة في ارضاء الحكام ، أو رهبة من بطشهم وطمغيانهم ، فالله تعالى أحق بالرغبة في رضائه ، والرهبة من سخطه ، قال صلى الله عليه وسلم : **« من أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ ، وَهُنَّ اسْخَطَ النَّاسَ بِرِضَا اللَّهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ مَوْنَةَ النَّاسِ »** (٢) .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٢/٦ .

(٢) الترمذى عن عائشة رضى الله عنها بإسناد حسن .

ثالثا : الوعد بالعصمة والحماية للنبي صلى الله عليه وسلم ، اذا قام بأمر الله حق قيام ، وبلغ دعـوته الى الناس دون خشية من لائم ، او خوف من ظالم ، وكفى به عز وجل قاهرا فوق عباده ، غالبا على امره ، قادرا على نصرة اوليائه ، ومحقق أعدائه ، والله أشد بطشا واشد تنكيلا .

وهذا الوعد الكريم من رب العالمين ، الى اشرف الانبياء والمرسلين ، يسرى على كل من نهج نهجه ، واتبع سبيله الى يوم الدين ، فان الله تعالى عاصمه من الناس ، بقدر ما يكون عليه من صدق في الجهاد ، واخلاص في التبليغ والارشاد . قال تعالى :

((انا لنصر رسلكم والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد)) غافر : ٥١ .

وقال تعالى :

((ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز)) الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . والله عاقبة الامور)) الحج : ٤٠ - ٤١ .

ولقد صدق الله تعالى وعده لنبيه ورسوله ، فتحققت له من العصمة ما حمله حين نزول هذه الآية — وقد كان

وقتئذ في حراسة سعد بن أبي وقاص ، وحذيفة رضي الله
عنهما — أن يطل عليهما قائلاً :

— « انصرفوا أيها الناس ، فقد عصمتني الله » (١)!! .

● ومن ذلك الحين ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يعتمد في ذهابه وإيابه على حراسة أحد بعد الله تعالى .

● صدق الله تعالى وعده لنبيه بالحماية والعصمة ،
حتى أنه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته ، نزل تحت
شجرة ، فعلق سيفه بغصن من أغصانها ، ونام في ظلها ،
فأتاه أحد المشركين وأخذ السيف وقام على رأسه صلى الله
عليه وسلم وقال : من يمنعك مني ؟ فقال صلى الله عليه
وسلم : الله !! فذعرت يد الأعرابي وسقط السيف من يده
وضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه ..

● ومن أبلغ مظاهر عصمة الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قبل ذلك : أنه لما مات عمه أبو طالب ، وكان له
مدافعاً وظهيراً ، بكل ما يملك من نفس ومال ، وجاء ورجال :
اجتراً سفهاء قريش على سيد المرسلين ، ونالوا منهما لم ينالوا
من قبل ، فسخر الله أبا لهب — وهو من هو في عدائه للنبي
وكبره بالله — فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم ونظم : وقد
أغضبه ما نالته قريش منه ، فقال له : « يا محمد ! ما
أردت !! وما كنت صانعاً إذا كان أبو طالب حياً فاصنع :
لا واللات ! لا يوصل اليك حتى أموت ! » .

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٢٤/٦ .

وذلك ولا شك من فعل الله تعالى ، الذى بيده قلوب
العباد يقلبها حيث يشاء ! .

**ولا يقلل من حقيقة هذه العصمة ما أصاب النبى فى
بعض الغزوات من أذى ، كالذى وقع له بأحد ، فإن المقصود
بالعصمة ، الحماية من التسلط عليه بالقتل أو الأسر ،
حتى يصل بالدعوة الى النهاية المقدرة لها فى علم الله تعالى .**
ولقد تحقق ذلك بالفعل ، فظل النبى صلى الله عليه
وسلم فى حماية من ربه رغم كل الغزوات التى غزاها ، والأخطار
التى اجتازها ، حتى تحقق النصر لدعوة الحق ، ودخل
الناس فى دين الله أفواجا .

كذلك لا يقلل من حقيقة هذه العصمة للمؤمنين ، ما يصيب
البعض منهم من بلاء أو اعتداء ، فإن لكل أجل كتابا ، ولا بد
للحياة من نهاية .

وسواء كانت هذه النهاية على فراش الموت ، كما حدث
لخالد بن الوليد رضى الله عنه حيث قال : لقد شهدت مائة
زحف أو زهاءها . وليس فى جسمى موضع شبر إلا وفيه
ضربة من سيف أو طعنة من رمح ، وها أنذا أموت على فراشى
كما يموت البعير ، فلا نامت أعين الجبناء !! .

أم كانت هذه النهاية فى ميدان الفخر والشهادة ، التى
بها ترفع الدرجات ، وتكفر الخطايا والسيئات ، كما حدث
للخلفاء الراشدين ، عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
أجمعين ، وكما حدث بعد ذلك لأكرم الشهداء ، وحفيد سيد
المرسلين والأنبياء ، الإمام الحسين رضى الله عنه وعن جميع
من استشهد معه من أهل البيت ، ومن والاهم من المؤمنين
الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلا .

فمفهوم العصمة التى وعد الله بها المجاهدين فى سبيله ،
انما هى العصمة من اذى الناس ، وسيطرة الكفار
والمنافقين ، اثناء الحياة التى كتبت لهم ، حتى يعيشوا بين
الناس عيشة كريمة ، لا نل فيها ولا ارغام ، يثبتهم الله
بالقول الثابت فى حياتهم الدنيا ، لا يجول بينهم وبين القيام
بحق الله حائل ، ولا يضرهم من خالفهم حتى يأتى امر الله .

اول دستور نبوى فى المدينة

ولقد كان اهم ما عنى به النبى صلى الله عليه وسلم
بعد وصوله الى دار الهجرة ، ان يحدد العلاقة بين المهاجرين
والأنصار من جهة ، وبين المسلمين عموما وبين اليهود
المقيمين بالمدينة من جهة أخرى ، حتى يعرف الجميع ما لهم
وما عليهم ، وحتى يتحقق للجميع الاستقرار الضرورى فى
المجتمع الجديد ، بما يمكن النبى صلى الله عليه وسلم من
تنظيم الدعوة ، وتوفير أسباب القوة والظهور لها .

وهكذا : عقد النبى صلى الله عليه وسلم اللفة بين
المهاجرين والأنصار ، وأخى بينهم فى الله أخوة جعلتهم
كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الأعضاء بالسهر والحمى . وفى نفس الوقت وادع اليهود
واقربهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم ،
وكتب بذلك كتابا ، كان بمثابة دستور مؤقت للمجتمع الجديد ،
هذا ملخصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

**هذا كتاب من محمد النبى الأمى ، بين المؤمنين
والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم ، وجاهد**

معهم ، أنهم أمة واحدة من دون الناس ، لا يتركون مفرحا (١)
 بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء وعقل ، ولا يحالف مؤمن
 مؤلى مؤمن دونه ، وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم
 أو ابتغى دسيعة (٢) ظلم أو أثم أو عدوان ، وأن أيديهم
 عليه جميعهم ولو كان ولد أحدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمنا
 في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن ، وأن فمة الله واحدة
 يجبر عليهم أديانهم ، وأن المؤمنين بعضهم مؤالى الى بعض
 دون الناس ، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة
 غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وأن المؤمنين يبيء (٣)
 بعضهم بعضا بما نال دماءهم في سبيل الله ، وأن المؤمنين
 المتقين على أحسن هدى وأقومه ، وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما
 في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا
 ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله
 وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وأنكم
 مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله عز وجل ،
 وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن يهود بنى عوف أمة
 مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، وأن يهود
 بنى النجسار وبنى الحارث وبنى ساعدة وبنى حشيم وبنى
 الأوس ، وبنى ثعلبة وجفنة وبنى الشطيبة مثل ما ليهود بنى
 عوف ، وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ،
 وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وأن بينهم
 النصح والنصيحة والبر دون الأثم . . . وأن الجار كالنفس غير

(١) المفرح : المثل بالديون والكثير العيال .

(٢) الدسيعة : العظيمة . (٣) يبيء : يمنع .

مضار ولا آثم ، وأنه لا تجار حرمة الا باذن أهلها ، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخلف فساد فأن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ، وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وأن من بينهم النصر على من دهم يشرب ، وإذا دعوا إلى صلح يصلحونه ويلبسونه فأنهم يصلحونه . . وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو آثم ، وإن الله جار لمن بر واتقى . . (١) »

ولقد قرر هذا الميثاق الذي عقده النبي صلى الله عليه وسلم بين أهل المدينة من مهاجرين وأنصار ، ومسلمين ويهود ، الخطوط العريضة لنظام المجتمع الإسلامي ، الذي يحقق التكافل الاجتماعي والتعاون بين أبناء الإسلام من ناحية ، ويحدد الصلات الطيبة بينهم وبين غيرهم من اليهود من ناحية أخرى .

توثيق الروابط بين دعاة الحق بالأخوة في الله

ووضع النبي صلى الله عليه وسلم هذا الميثاق موضع التنفيذ ، بين المهاجرين والأنصار ، فقال لهم : « تآخوا في الله أخوين أخوين » ، وضرب المثل العملي والقُدوة الطيبة لما دعا إليه ، فأخذ بيد علي بن أبي طالب رضى الله عنه وقال : هذا أخى . . .

فكان صلى الله عليه وسلم وعلي بن أبي طالب أخوين .

(١) البداية والنهاية ٢٢٤/٣ و ٢٢٦ .

... وكان حمزة بن عبد المطلب - أسد الله - وزير بن
حارثة أخوين .

وجعفر بن أبي طالب - ذو الجناحين - ومعاذ بن
جبل أخوين .

وأبو بكر وخارجة بن زيد الخزرجي أخوين .

وعمر بن الخطاب وعثمان بن مالك أخوين .

وأبو عبيدة وسعد بن معاذ أخوين .

والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود أخوين .

ويقال : الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود أخوين .

وعثمان بن عفان وأوس بن ثابت أخوين .

وظلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك أخوين .

وسعيد بن زيد وأبي بن كعب أخوين .

ومصعب بن عمير وأبو أيوب أخوين .

وأبو حذيفة بن عتبة ومعاذ بن بشر أخوين .

وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين .

ويقال : بل كان عمار وثابت بن قيس أخوين .

وخاطب بن أبي بلتعة وعويم بن ساعدة أخوين .

وسلمان وأبو الدرداء أخوين .

وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع أخوين (١) .

(١) البداية والنهاية ٢٢٦/٣ و ٢٢٧ من رواية ابن

اسحاق .

وهكذا فيها يتعلق ببقية المهاجرين ، آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل منهم وبين واحد من الأنصار ، أخوة بلغت من القوة جد المشاطرة في الأموال والديار ، بل بلغت إلى ما هو أكثر من ذلك عمقا وإثارا ، مما استحق ثناء المولى عز وجل على الأنصار ، لما قدموه عن طيب خاطر من تضحيات غالية ، وأظهروه من مشاعر سامية .

قال تعالى :

(والذين تبوءوا الدار والأيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وأي أخوة وتعاون أعظم وأروع من استجابة الأنصار رضي الله عنهم — نون ترداد — لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قال لهم :

ان اخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا اليكم .

فأجابوا على الفور : أهواننا بيننا قطائع ، أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل .. !!

أي أخوة ومحبة أوثق وأصدق من موقف سعد بن الربيع الأنصاري ، وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم

بينه وبين عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما ، فقال له
سعد :

— أى أخى : أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر
مالى فخذ ، وتحتى امرأتان فانظر أيهما أعجب اليك حتى
أطلقها !

ولكن عبد الرحمن بن عوف وقف موقف المتعفف من هذا
العرض السخى ، والشعور الكريم — شأنه فى ذلك شأن
غيره من المهاجرين فى سبيل الله — فقال لأخيه :

— بارك الله لك فى أهلك ومالك ، دلنى على السوق ..

فذهب فاشترى وباع فربح (١) .

وهكذا كان موقف الأنصار جميعا من اخوانهم فى الله :
كرم فى سخاء ، ومحبة فى ايثار ، حتى قال المهاجرون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

— يا رسول الله : ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم ، أحسن
مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا فى كثير ، لقد كفونا
المؤونة ، واشركونا فى المهنأ ، حتى لآء خشينا أن يذهبوا
بالأجر كله !

(١) الإمام أحمد من حديث أنس رضى الله عنه .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا !! ما اثنيتم عليهم ،
ودعوتم الله لهم » (١) .

* * *

هذا هو الاسلام في روعته

هذا هو الاسلام في روعته ، فأعظم به من دين ، وأكرم
به من شريعة ، انه النور الذى ينفذ الى أعماق المؤمنين به ،
فيدفعهم الى التبادل والتناصر ، وإلى التضحية والايثار ،
دون قسر أو أرغام ، استجابة لداعى الأخوة فى الله ، البريئة
من كل هوى ، والمحبة الصادقة ، السليمة من كل شائبة أو
حقد ، وشتان بين هذا الدين القيم فى علاجه لمشاكل المجتمع
وتحقيقه للتكافل التام بين أفرادهِ ، مع بقاء القلوب صافية ،
والنفوس راضية ، وبين تلكم النظم الوضعية التى ما أنزل
الله بها من سلطان ، التى تقوم على اغتصاب الأموال ،
وانتزاع الديار ، فى ايغار للصدور ، واثارة للأحقاد ، وقاليب
للطبقات مما يؤدى الى فتنة فى الأرض وفساد كبير ، ورحم
الله شوقى أمير الشعراء حيث يقول :

الاشقياء تراكيون أنت امانهم

لولا دعناوى القوم والغلواء

فوايت متشدا وداؤوا ظفيرة

وأخف من بعض الدؤاء الداء

(١) الإمام أحمد بن حنبل فى حديث أنس رضى الله عنه .

وبهذه الأخوة الصادقة في الله ، ختم النبي صلى الله عليه وسلم مرحلة طويلة من جهاد شاق في سبيل الدعوة الكبرى ، ووضع بتوجيه من ربه عز وجل ، الحجر الأساسي في بناء المجتمع القوي ، الذي يحتضن دعوة الحق ، ويحمل لواءها ، ويواصل الكفاح الإيجابي في سبيلها ، لتحقيق ما كتبه الله لها من ذيوع وانتشار ، وما قدره لها من ظهور وانتصار .



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
تصنيف	٣
تقديم	٧
الفصل الأول : القيادة - القدوة	١١
* طريق الداعية : العلم . . قيام الليل . . الطهر	١٣
* الدعوة الى قيام الليل	١٤
* الدعوة الى الطهر	١٥
* الصف الأول لدعوة الحق	١٦
* وحدة القلوب . . ضمان لوحدة الصف	١٨
* أربعة توجيهات	٢٠
* الجهر بدعوة الحق	٢١
الفصل الثاني : الصف الأول	٢٥
* بوتقة الدعوة	٢٧

- * النصر مع الصبر . . والفرج مع الكرب ٣٢
- * تراجع المبتلين ٣٥
- * اعتراف المشركين بدعوة الحق ٤٠
- * طريق المعزة ٤٣
- * انطلاق الدعوة بعد الحصار ٤٥
- الفصل الثالث : من آداب الدعوة ٤٧
- * ادع الى سبيل ربك ٤٩
- * أساليب الجدال بالتقى هي أحسن ٥٢
- * مواجهة المعاندين بالشدة والغلظة ٥٤
- * نحو أفق جديد ٥٧
- * من السلبية الى الايجابية ٥٨
- * الهجرة في سبيل اعلاء كلمة الله ٦٠
- * الاذن بمقابلة القسوة بالقسوة ٦١
- * عصمة الله لسيد الانبياء ٦٣
- * دستور المجتمع الجديد (وثيقة نبوية) ٦٨
- * توثيق الروابط بين دعاة الحق ٧٠

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٥٦ — ١٩٧٩
الترقيم الدولي ٧ — ٨٤ — ٧٣٠١ — ٩٧٧

هذه الرسالة

الدعوة الى الله يجب أن تكون
على بيئة وبصيرة ، وقائمة على
دراسة وتخطيط ... نحدد
مبادئها ، ودعاماتها ، وغايتها ،
وسبيلها ، ووسائلها ، وشروط
العاملين فيها ، وخصومها
وخططهم ...

وهذه الرسالة تتناول
موضوع سبيل الدعوة ،
كما أوضحها لنا كتاب الله عز
وجل ، وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم . وهي تقوم على
ثلاثة عناصر :

- قيادة مؤمنة صادقة .
- صف أول من المؤمنين
المخلصين .
- أدب إسلامي في الدعوة
والتبليغ .

قرش قرش جنيه

١٩٠٠

74

58s



0362733